التعمير وانماط العيش في فترة ما قبل التاريخ بمنطقة العالية (سلقطة، المهدية، تونس الشرقية)

د.سفيان بن سالم ابن موسى•

الملخص:

الورقة المقدمة هي نتيجة لتدخل أثري (مسح وسبر أثريين) بمنطقة العالية من ولاية المهدية بالساحل الشرقي التونسي. الدراسة التصنيفية للصناعات الحجرية المجمعة، ترجح بداية التعمير إلى ما بين منتصف الألفية الثامنة وأواخر الألفية السادسة ق.م. رغم بعد المنطقة عن مركز الحضارة القبصية (قفصة - تبسة) فإن التأثيرات التقنية لهذه الحضارة بقيت قوية على مستوى الصناعات الحجرية سواء فيما يتعلق بأصناف الأدوات المستعملة، مصادر الحجارة الصوانية و التقنيات الحرفية. رغم وجود مؤشرات بداية التدجين (الماعز) فان نمط العيش الغالب بقي معتمدا على الترحل و الانتجاع دون الاستقرار وهو ما يعكسه سمك الطبقة الاثرية واستهلاك الرخويات الفصلية (ربيع - صيف). الوسط الطبيعي و المعطيات المناخية زمن فترة تعمير موقع رمادية العالية مختلفة عما هي عليه اليوم. حيث يبدو ان المناخ كان وقتها اقرب الى المناخ المداري أو شبه المداري وهو ما تعكسه نوعية الحيوانات البرية المستهلكة واصداف الرخويات الموجودة قرب السبخة الحالية (البحيرة القديمة).

الكلمات الدالة:

الحضارة القبصية، النيوليتيك، صناعات حجرية، نمط العيش، اصداف الرخويات، بقايا حيوانية.

•استاذ مساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سوسة sofienemoussa@yahoo.fr

مقدمة:

تقع الهضبة الاثرية بالعالية في الشمال الغربي لخليج بين مدينتي سلقطة، سلكتوم القديمة (Sullecthum)، و مدينة الشابة، كابوت فدا القديمة (Vada Caput) (لوحة رقم ١). هذه المنطقة الواقعة بين البحر شرقا و سبخة النجيلة غربا تتميز رغم محدودية مساحتها، بثراء اثري فريد يمتد من فترات ماقبل التاريخ وصولا الى الفترة الاستعمارية. (لوحة رقم ٢)

بالنسبة لفترات التعمير الاولى لا يشير اطلس مواقع ما قبل التاريخ التونسي (خارطة منطقة الجم ١/٢٠٠٠٠٠) سوى لوجود خطين من مقابر تيميلوس تعود الى فجر التاريخ[١]. بالمقابل تعود أول إشارة لفترة ما قبل التاريخ الى سنة ٢٠٠٤ حين اكتشف الأستاذ فتحي البحري[٢] اثناء حفرياته بالقرب من البرج الجنوبي الشرقي لقصر رباط العالية موقع رمادية[٣] (لوحة رقم ٢ صورة عدد٤).

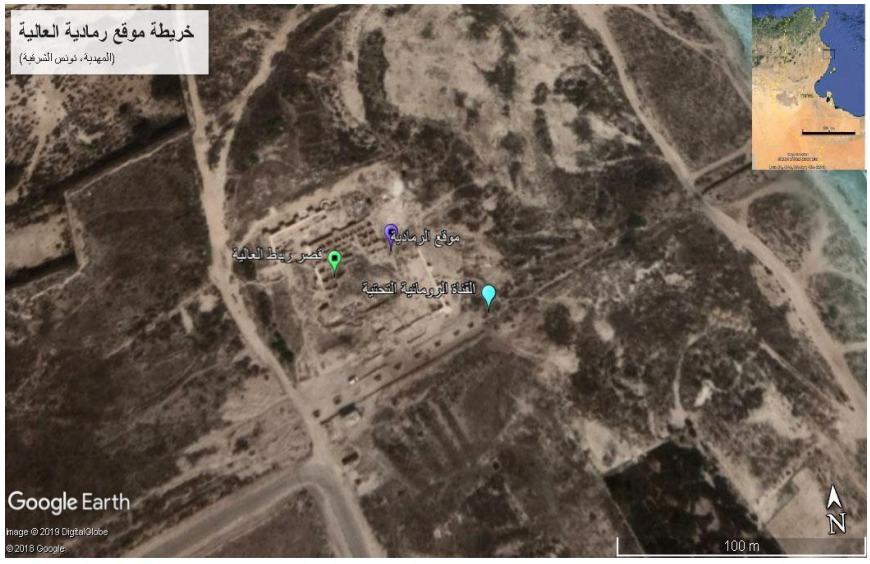

لوحة عدد ١: موقع رمادية العالية (المهدية، تونس الشرقية)

(1) Camps (G.), Gragueb (A.), Harbi-Riahi (M.), M'timet (A.) et Zoughlami (J.): 1995, Atlas préhistorique de la Tunisie, Feuille n° 12, El Djem, École française de Rome, Rome, 26 p.

(2) Bahri (F.): 2004, De certaines techniques de construction d'époque fatimide à Qsar Al-'Alia, Africa XX, Tunis, p. 37

(٣) الرمادية هي موقع السكن المميز لإنسان ماقبل التاريخ في شمال افريقيا اثناء الفترة القبصية وفترة النيوليتيك ذي التأثيرات القبصية. الموقع عبارة عن تل اصطناعي مكون أساسا من الرماد بقايا الحجارة المحروقة الصناعات الحجرية بقايا حيوانية و نباتية اضافة الى كثرة اصداف الرخويات خاصة البرية منها.

هذا الاكتشاف سيكون منطلقا لأبحاثنا بمنطقة "الساحل" الجنوبي[٤] خاصة وأن دراسة فترة ماقبل التاريخ بالجهة لم تحظى بالاهتمام الذي تستحق وذلك يرجع في اعتقادنا إلى

عدة عوامل منها:

- التكوين الجيولوجي الحديث نسبيا للمنطقة مما يصعب إمكانية وجود آثار تعود إلى عصر البليوليتيك (العصر الحجري القديم)

- غياب مقاطع لحجر الصوان في منطقة "الساحل" التونسي ككل وهو أمر لا يساعد نظريا التعمير البشري بالمنطقة

- أهمية التحولات التي عرفها الشريط الساحلي الشرقي التونسي سواء على المستوى الجيومرفولوجي (تراجع وتقدم البحر بالنسبة لليابسة) او على مستوى الحضور البشري قديما وحديثا (التوسع العمراني)[٥]

[٤] يقصد بالساحل التونسي المنطقة المعروفة قديما بالبيزقيوم ثم بالمزاق في بداية الحضور العربي بشمال افريقيا وقبل أن تعرف بساحل القيروان. هذه المنطقة تمتد من بوفيشة شمالا (جنوب خليج الحمامات) الى رأس الشابة جنوبا (شمال خليج قابس)

[5] Brahim (F.) 2005 : Le Sahel central et méridional (Tunisie orientale) géomorphologie et dynamique récente en milieu naturel, ed. Faculté des lettres et des sciences humaines de Sousse, 302 p.

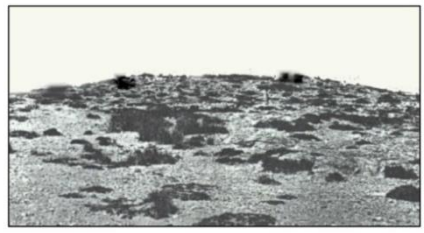

1. تل جنائزي (تيميلوس)
(Camps and al. 1995, El Jem, 14-16)

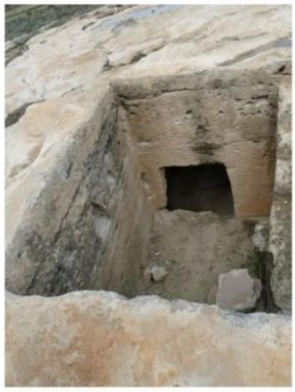

2. مدفن لوبي- بوني

3. القناة المائية التحتية الرومانية

4. قصر- رباط العالية

لوحة 2: بعض الاثار الموجودة بمنطقة العالية (المهدية، تونس)

البحث الذي سنقدمه هو نتيجة لتدخل أثري بالمنطقة من خلال مسح أثري و حفرية محدودة المساحة (سبر و تنظيف لمقاطع أثرية)

١. المسح الاثري:

اهتمت عملية المسح الأثري تحديدا بالمنطقة المحيطة بسبخة "النجيلة" وامتدت لفترة أسبوع (فيفري ٢٠١٥) وتكون الفريق من ٧ افراد قاموا بتمشيط مربع طول ضلعه ٢ كم يحيط بالسبخة من ٤ جهات. وتسهيلا للعمل تم تقسيم المربع (مساحته ٤ كم^{٢})

الى أشرطة عرض كل منها ٥٠٠ م و طولها ٢ كم (لوحة رقم ٣). وقد أدت عملية المسح إلى تجميع بقايا أثرية يمكن تقسيمها كالتالي:

١,١البقايا العضوية:

١,١,١ أصداف الرخويات:

تنقسم هذه البقايا إلى أصداف لرخويات بحرية وأخرى برية مع وجود أعداد قليلة من أصداف لرخويات مرتبطة بالمياه العذبة وهي أساسا من فصيلة (Unio). الأصناف البرية من أصداف الرخويات تتكون أساسا من فصيلتين هما:

-Leucochroa candidissima(لوحة رقم ٤ صورة عدد ١)

-Helix melanostoma(لوحة رقم ٤ صورة عدد ٢)

بالنسبة للأصناف البحرية، يمكن ملاحظة سيطرة فصيلة الكارديوم (cardium) سواء على مستوى الشريط الساحلي أو على مستوى سبخة "النجيلة" التي اكتشفنا حولها أعدادا مهمة لتجمعات أصداف هذه الرخويات (لوحة رقم ٤ صورة عدد ٣). ويعتبر هذا الصنف من الرخويات بحريا بالأساس لكنه قادر على العيش في البحيرات وهو ما يشير إلى أن السبخة الحالية كانت على ما يبدو بحيرة حية في إحدى مراحل تطورها. كما يبدو أن سكان ما قبل التاريخ الذي عمروا هذه المنطقة استغلوا هذه الموارد الرخوية بشكل كبير وهو ما أكدته بقايا أصدافها المستخرجة من السبر المنجز في موقع الرمادية[٦].

٢,١,١ قشور بيض النعام

قمنا اثناء عملية المسح بجمع ٢٤ قطعة من قشر النعام إثنتان منها فقط تحمل أثار حرق (لوحة رقم ٥ صورة عدد ٥و١٩). كما تحمل بعض هذه القطع أثار واضحة للنشر أو الثقب والصقل مما يؤكد على الاستغلال الواعي لإنسان ما قبل التاريخ في هذه المنطقة لبيض النعام. وبالفعل أكدت دراسات سابقة[٧] على استغلال قشور بيض النعام في صناعة القوارير و الكؤوس و الفناجين وصولا إلى خرز التعليق خاصة إبان الفترة القبصية و فترة النيوليتيك ذي التأثيرات القبصية. يمكن إنطلاقا من شكل مسام

---

[٦]انظر الجزء الثاني من هذا المقال

[7] Camps-Fabrer H. 1966, Matière et art mobilier dans la Préhistoire nord-africaine et saharienne, Mémoire du CRAPE, Paris., Rahmani N. and Lubell D., 2005, *« Dessine-moi une autruche » la gravure de Kef Zoura D et la représentation de l'autruche au Maghreb*, In Sahara, N° 16, p. 39-54. Belhouchet L. 2008, *les gravures sur coquilles d'œufs d'autruche en Afrique du Nord : interprétation des décors géométriques*, In Sahara, N° 19, p.77

١. تقسيم منطقة المسح الأثري حول سبخة النجيلة

٢. اهم مناطق توزع اللقى الأثرية

لوحة عدد ٣: منطقة المسح الأثري وتوزع اللقى الأثرية بها

١. Leucochroa candissima

٢. Helix melanostoma

٣. Cardium

لوحة عدد ٤: أهم أصداف الرخويات الملتقطة أثناء المسح الأثري

القشرة وتوزعها (كثرة المسام وتوزعها بشكل منتظم)[٨] أن ننسبها الى إحدى أنواع النعام التي عاشتا بشمال أفريقيا ونعني بها Stcamelus ruthio.

٢,١ الأدوات الحجرية:

١,٢,١ الدراسة التصنيفية

قمنا بتجميع ١٣٤ قطعة حجرية مصنعة، قسمناها كما يلي:

- ٧ نواتات (scores)
- ٤٠ شظية (منها ١٥ لم تنمق) (flakes)
- ٣٧ شفرة (منها ٩ لم تنمق) (blades)
- ٢٧ شفيرة (منها ١٠ لم تنمق) (bladelets)
- ٢٣ فتات (splinter)

من جملة هذه القطع الحجرية، ٥٤ قطعة فقط يمكن تصنيفها كأدوات وفق تصنيف جاك تكسيي (Tixier .J) لسنة ١٩٦٣ المخصص للعصر الحجري الحديث الأعلى (Epipaleolitich) بشمال افريقيا[٩]. من ذلك مثلا:

Groups الصنف	number العدد	blades شفرات	bladelets شفيرات	flakes شظايا	percentage النسبة
مكاشط(scrapers)	0	0	0	0	0
مثاقب(drill bit)	3	1	2	0	5.55
مناقش (burins)	10	6	0	4	18.51
(Backed flakes and backed blades) شظايا و شفرات ذات ظهر	9	5	0	4	16.66
أدوات مركبةcomposite tools	0	0	0	0	0
(Backed bladelets)	8	0	8	0	14.81

(8) Dughi R. et Sirugue F. 19٧٥, *Les coquilles d'œuf d'autruche de Medjez II*, in Camps-Fabrer H., un site capsien de faciès tébessien : Medjez II, p. 393-394

(9) Tixier (J.), 1963, La typologie de l'Epipaléolithique de l'Afrique du Nord, Arts et Métiers graphiques, paris, 212 p.

شفيرات ذات ظهر					
(Notches)أدوات مسننة او ذات حز	8	4	0	4	14.81
(Truncations)أدوات مقتطعة	1	1	0	0	1.85
(Geometric microliths) أدوات ذات شكل هندسي	0	0	0	0	0
(burin blow technic) تقنية الميكروبيرين	1	0	1	0	1.85
(others tools) أصناف أخرى	9	5	3	1	16.66
(Neolithic tools) أدوات نيوليتيكي	5	2	1	2	9.25

جدول ١ : تصنيف الأدوات الحجرية المجمعة عبر المسح الاثري

إن تنوع الأدوات الحجرية كما يبينه الجدول و الأهمية العددية للشفيرات ذات الظهر و الأدوات المسننة و ذات الحز تعطي كلها لهذه المجموعة تقاربا مع الحضارة القبصية. كما أن هذه المجموعة الحجرية تتميز بقربها من مثيلاتها من صناعات العصر الحجري الحديث الأعلى المتطور (Epipaleolithic advanced) وحتى من صناعات النيوليتيك. وعلى هذا الأساس يمكننا ان نرجع هذه الصناعات الى الفترة الممتدة بين منتصف الالفية الثامنة و أواخر الالفية السادسة قبل الميلاد[١٠].

٢,٢,١ بعض المعطيات التقنية

رغم المحدودية العددية لهذه المجموعة فانها تمنحنا معطيات حول:

- مصادر المواد الأولية الحجرية:

يمكن تقسيم المواد الأولية التي صنعت بها الأدوات الحجرية الى ٥ أصناف:

- صوان بني الى أسمر (٧٥ قطعة)
- صوان رصاصي (٦ قطع)
- صوان أحمر (٣ قطع)
- صوان بيج شفاف (١٢ قطعة)

(10) BEN MOUSSA (S.) 2008, La Néolithisation de la Tunisie : approche typo-technologique comparée de quatre séries lithiques tunisiennes, Thèse non publiée, soutenue à l'Université de Provence Aix-Marseille I, p. 52-55

- كلس أو حجر جيري (١٠ قطع)

- ٢٦ قطع مجهولة المادة بسبب وجود قشرة جيرية ملساء (patina) تغطي كامل القطعة.

هذه القشرة الجيرية و التي تدل على بقاء القطعة لمدة طويلة في منطقة رطبة أو في المياه نجدها كذلك بنسب أقل على قطع أخرى. وتختلف هذه القشرة الجيرية عن القشرة الطبيعية التي تغطي عادة الصوان (cortex) و التي نجدها كذلك بنسب متفاوتة على الأدوات المدروسة وهو ما يؤشر على نقل الحجارة الصوانية إلى موقع رمادية العالية دون تحضير مسبق للنوتات.

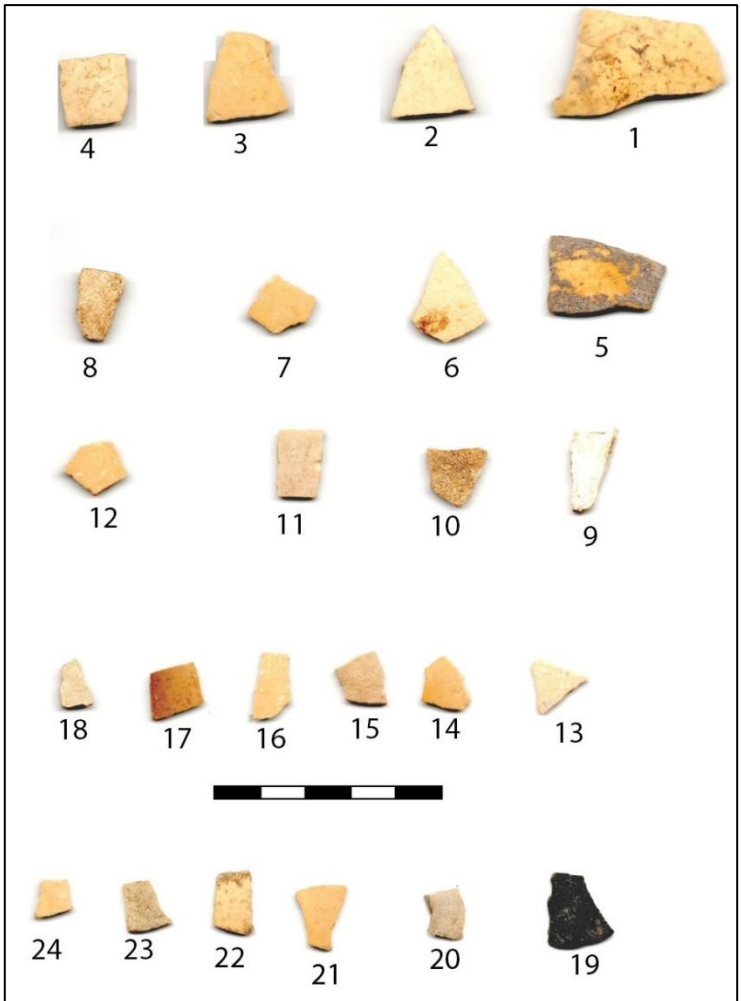

لوحة عدد ٥: **قشور بيض النعام الملتقطة اثناء المسح الأثري**

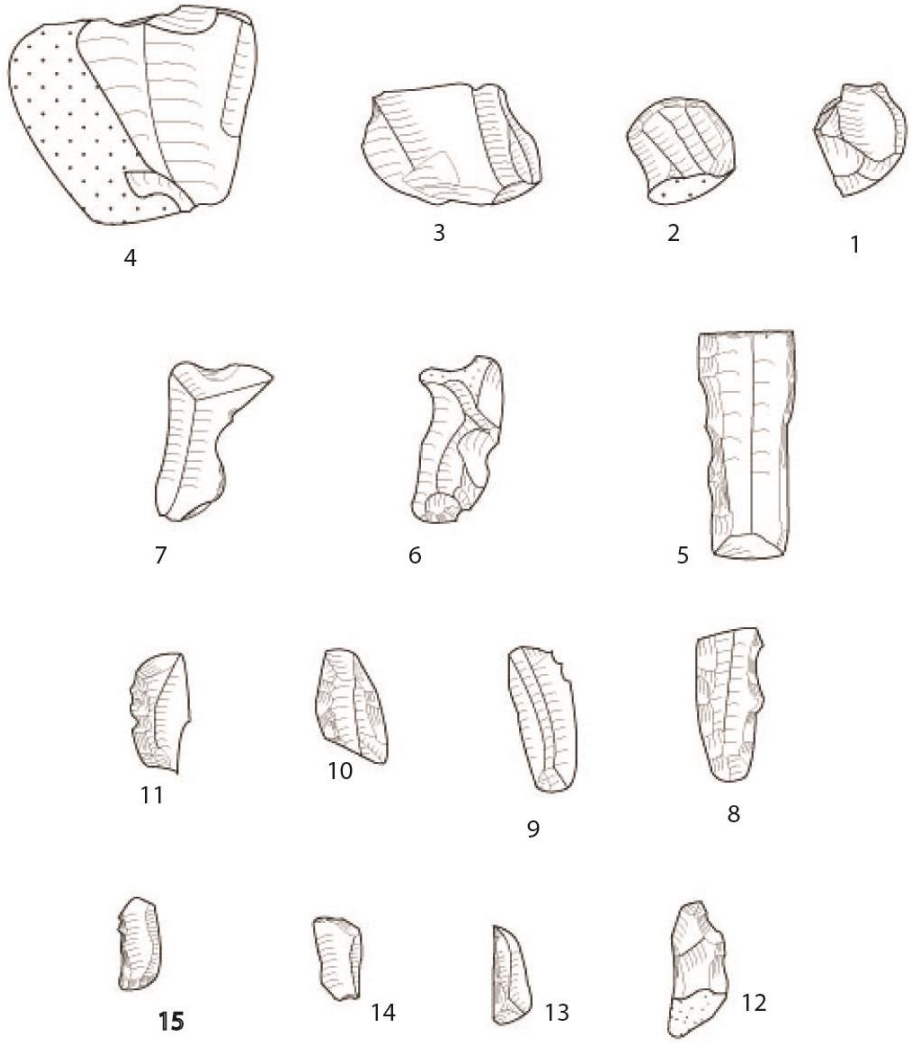

لوحة عدد ٦: **بعض الأدوات الحجرية الملتقطة اثناء المسح**

كما تعكس أنواع الحجارة المستعملة مصادرها المتنوعة (المحلية القريبة والبعيدة). المواد الأولية المحلية تتمثل أساسا في الحجارة الكلسية ذات الجزيئات الدقيقة والتي قدمت لنا أحيانا أدوات جيدة الصنع. بالنسبة للمواد المتأتية من مناطق بعيدة يبدو أن مصدرها منطقة الوسط التونسي (الصوان الأحمر من القيروان و الرمادي من سيدي بوزيد) إضافة إلى الجنوب الغربي الذي يوفر افضل أنواع الصوان بشمال افريقيا (الصوان البني إلى الأسمر و الصوان البيج الشفاف بجهة قفصة).

إن المصادر البعيدة[١١] لأغلب الحجارة الصوانية المستعملة (أكثر من يوم مشي) تحيلنا إلى نمط عيش بدوي متنقل أو نصف بدوي لسكان منطقة العالية و الذي يبدو انهم كانوا يتنقلون بين السواحل وداخل البلاد أو انهم كانوا يبادلون المنتوجات البحرية بالصوان مع مجموعات بشرية أخرى كانت تتنجع بين الداخل و السواحل.

- طرق قطع الحجارة:

كل النوتات التي وجدت أثناء المسح تتميز بصغر حجمها اذ نجد أن أطولها لا يتجاوز ٤١ مم. وعموما يتم تحضير هذه النوتات بشكل مقتضب (platform striking flat) لتبدأ عملية القطع التي تشمل عموما كامل محيط النواة وفي أحيان اقل نصف المحيط فقط (rotating debitage \ isem rotdebitage ating) (لوحة رقم ٦).

كما تتميز طرق قطع الحجارة بتنوعها إذ تستعمل مواد صلبة في الطرق لاستخراج الشظايا (hard hammer) بينما تستعمل مواد طرق لينة (مواد عضوية) و أحيانا الضغط بالنسبة للشفرات (lbades) و الشفيرات (bladelste).

- اهداف الحرفي:

رغم صغر حجم النوتات المستعملة فإن الدراسة التقنية للأدوات تامة الصنع تظهر توجها محددا نحو المحامل (support) الطويلة كالشفرات و الشفيرات و التي تحولت كلها تقريبا الى أدوات في المقابل كانت نسبة تحويل الشظايا الى أدوات ضعيفة. إن وجود هذه الشظايا مرتبط عضويا بتحضير مكان الطرق على النواة أو إصلاح بعض النتوءات أو حوادث القطع أثناء استخراج المحامل الطويلة[١٢].

- الأدوات النيلوتيكية:

نجد من بين هذه الأدوات رؤوس السهام و قطع في شكل أوراق نباتية منمقة من الوجه و القفى. كل هذه القطع تظهر غياب كليا لسلسة تقنية مخصوصة لها باعتبار أن كل هذه الأدوات صنعت انطلاقا من شظايا متأتية من عمليات إصلاح بعض أخطاء القطع (laked repairingsurface f).

---

(١١) يمكن تقسيم مقاطع الحجارة الصوانية المستعملة بحسب بعدها عن مواقع الاستقرار البشري الى: مقاطع محلية (اقل من ٥ كم)/ مقاطع مجاورة (اقل من ٣٠ كم)/ مقاطع بعيدة (بين ٣٠ و ١٠٠ كم)/ مقاطع بعيدة جدا (أكثر من ١٠٠ كم).

(12) BEN MOUSSA (S.) 2008, La Néolithisation de la Tunisie : approche typo-technologique comparée de quatre séries lithiques tunisiennes, Thèse non publiée, soutenue à l'Université de Provence Aix-Marseille I, 281-285.

--| انطلاقا مما تقدم يمكننا الجزم أنه وبرغم غياب بعض أجزاء السلسلة الصناعية فإن التأثيرات القبصية حاضرة بقوة بموقع العالية رغم محدودية المواد الحجرية الجيدة والبعد عن مواقع استخراجها والمركز الرئيسي للحضارة القبصية (قفصة- تبسة).

٢. السبر الاثري:

تمت عملية السبر في المنطقة الاكثر ميلا نحو السواد بموقع الرمادية المحاذي لأسوار الرباط وأين تم تحديد منطقة عرضها ١م وطولها ٢ م (لوحة رقم ٧). كما تم في منطقة غير بعيدة عن موقع السبر تنظيف مقطعين أثريين بهدف أظهار الوحداث الأثرية المكونة للرمادية. هذه الوحدات يمكن تقسيمها كالآتي ومن أعلى إلى أسفل (لوحة رقم ٨):

- الوحدة الأثرية السطحية (US٠٠) : تربة سطحية ذات لون رمادي تحمل بعض البقايا الاثرية

- الوحدة الأثرية الأولى (US٠١) : تربة ذات لون رمادي قليلة الحجارة تحمل بقايا عظمية وبقايا بيض النعام وأصدافا لرخويات برية و بحرية

- الوحدة الأثرية الثانية (US٠٢) : تربة ذات لون رمادي مع حجارة صغيرة الحجم

- الوحدة الأثرية الثالثة (US٠٣) : تربة يغلب عليها اللون الرمادي مع حجارة صغيرة ومتوسطة الحجم تتكون البقايا الأثرية أساسا من عظام مكسورة وقشور بيض النعام

- الوحدة الأثرية الرابعة (US٠٤) : تتميز بوفرة الأصداف البرية و البحرية خاصة من الكارديوم (cardium) و الموركس (murex) بدرجة أقل. هنا أيضا تتكون البقايا الاثرية أساسا من عظام مكسورة وقشور بيض النعام.

- الوحدة الأثرية الخامسة (US٠٥) : تتكون البقايا الأثرية أساسا من عظام مكسورة والأصداف بنوعيها البري و البحري بينما تقل المصنوعات الحجرية. في هذه الوحدة الأثرية تم اكتشاف أصداف لرخويات بحرية نادرة نسبيا مثل الكولمبيلا (rustica collumbella) و الباتيلا (patellas)

يمكن تقسيم القطع الأثرية المستخرجة من السبر إلى:

١,٢ الأدوات الحجرية

تم استخراج ٩٠ قطعة حجرية من السبر بين صوان و كلس تتوزع كالآتي: ١ نواة، ١٩ قطعة منحوتة، ٧٠ قطعة غير منحوتة (٢٤ شظية، ١٦ شفيرة، ٣ شفرات و ٢٧ من الفتات الحجري). تتميز أغلب الأدوات المستخرجة بصغر حجمها. كما نرى على

النواة الوحيدة المستخرجة من السبر أثار الاستغلال المفرط للحجارة الصوانية والتي تبدو غير متاحة وغير متوفرة بسهولة بالمنطقة وهو ما دفع الى إستخدام الحجارة الكلسية التي وفرت ١٣ أداة حجرية من ضمن ٩٠ المستخرجة.

تتوزع الأدوات الحجرية التي يمكن تصنيفها (عدد ١٩) الى:

- ٣ مكاشط،
- ٢ شظايا وشفرات ذات ظهر،
- ٤ أدوات مسننة او ذات الحز،
- ٨ شفيرات ذات ظهر
- ٢ أدوات أخرى

النوع		العدد
الأدوات المصنفة		١٩
نواتات		٠١
مصنوعات حجرية غير منمقة	الشظايا	١٦
	شظايا مكسورة	٥
	شظايا صغيرة	٣
	شفرات و شفرات مكسورة	٣
	شفيرات وشفيرات مكسورة	١٦
	فتات حجري	٢٧
المجموع		٩٠

جدول ٢: انواع الادوات الحجرية المستخرجة من السبر

---| إن أهمية المصنوعات الحجرية غير المنمقة (unretouched) و التي لم تتحول فعليا إلى أدوات، إضافة إلى وجود نواة مستغلة بشدة وأهمية القطع المكسورة يحيلنا أن فضاء السبر الاثري لا يعدو أن يكون سوى فضاء يتخلص فيها من فواضل المصنوعات والأكل (مزبلة) وهو ما ستؤكده دراسة البقايا الحيوانية الفقرية واللافقرية.

٢,٢ بقايا الحيوانات (فقرية)

تؤكد البقايا العظمية الحيوانية المستخرجة من السبر على إرتفاع نسبة التكسر فيها وهو ما يبينه الجدول التالي:

	عظام طويلة	عظام قصيرة	عظام مسطحة	جزيئات عظمية
سبر (١) الوحدة الاثرية ٠١	٩	١٩	-	٥٤
سبر (١) الوحدة الاثرية ٠٢	١٣	٨	١٠	٣٤
سبر (١) الوحدة الاثرية ٠٣	٦	٦	٤	٣٥
سبر (١) الوحدة الاثرية ٠٤	٨	٢٢	١	٦٣
سبر (١) الوحدة الاثرية ٠٥	٢١	٢٧	٣	٤٣
التقاط سطحي وحدة اثرية ٠٠	٥	١٦	-	٧٥
غربلة الوحدة الاثرية ٠٥	٤	١٣	-	٤٨
مقطع(١) الوحدة الاثرية ٠١	١	-	-	-
مقطع(١) الوحدة الاثرية ٠٢	٤	٢	-	-
مقطع(١) الوحدة الاثرية ٠٣	-	-	-	-
التقاط سطحي مقطع(١)	-	-	-	٦
التقاط سطحي مقطع(٢)	-	-	-	-
غربلة (م ١) وحدة اثرية ٠	-	-	١	٣٦
غربلة (م ١) وحدة اثرية٠١	١	-	-	-
غربلة (م ١) وحدة اثرية٠٢	-	-	-	-
غربلة (م ١) وحدة اثرية٠٣	-	٤	-	٢
غربلة (م ٢) وحدة اثرية٠٠	-	٥	-	٢٣
المجموع	٧٢	١٢٢	١٩	٤١٩

(م: مقطع)

جدول ٣: توزع البقايا العظمية بحسب نوعيتها ومكان استخراجها

تكفلت الزميلة نبيهة العوادي-غبد الجواد بدراسة وتحليل البقايا العظمية، هذه الدراسة مازالت في طور الإنجاز ونقدم لكم نتائجها الأولية.

- عدد البقايا العظمية مرتفع نسبيا باعتبار المساحة المحفورة. كما تتميز العظام المستخرجة من السبر بوضعية جيدة نتيجة التصلب (Diagenesis). عموما لا نجد داخل المجموعة العظمية المدروسة بقايا متعلقة بمنطقة الرأس إذ ما استثنينا بعض أسنان البقريات. أغلب العظام المستخرجة صغيرة الحجم وتبرز نسبة تكسر عالية نجدها في كل الرماديات بشمال افريقيا وهو أمر يصعب عملية تحديد هذه البقايا وربطها بأنواع الحيوانات المستهلكة بالموقع (لوحة رقم ٩).

رغم هذه الصعوبات، تم من خلال بعض العظام المستخرجة من حفرية العالية تحديد أصناف بعض الحيوانات الفقرية التي استهلكها سكان المنطقة والتي تتوزع كالآتي حسب الوحدات الأثرية:

الوحدة الاثرية	اصناف الحيوانات (بالعربية)	اصناف الحيوانات (باللاتينية)
US 01	ماعز بري، النو (التيتل الافريقي)، ظباء، أبو عرف، ارانب برية، كلبيات، ماعز مدجن	Caprini, Alcelaphini, Antilopini, Hippotragini, lagomorpha, canis, Caprini (mansueti)
US 02	ماعز بري، نو(التيتل الافريقي)، ابوعرف، بقريات	Caprini, Alcelaphini, Hippotragini, Bovini
US 03	ماعز بري، نو(التيتل الافريقي)، أبو عرف، غزلان، جواميس	Caprini, Alcelaphini, Hippotragini, Gazella, Bos, Syncerus
US 04	بقريات برية مسنة، ماعز بري، ظباء :	Caprini, Bovini (old), Antilopini
US 05	بقريات برية	Bovini

جدول ٤: توزع لأهم أصناف الحيوانات الفقرية حسب الوحدات الأثرية

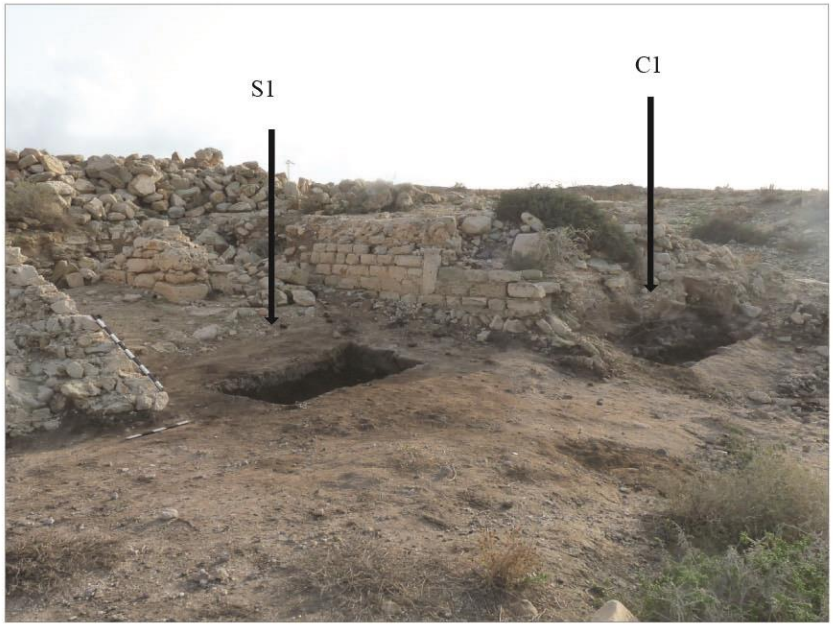

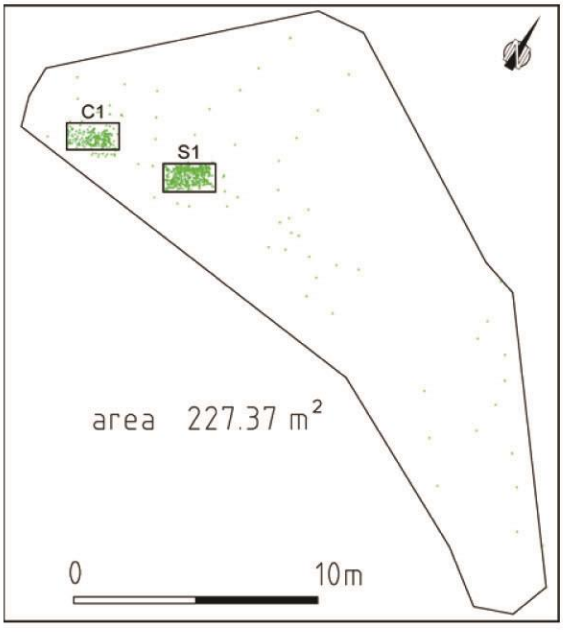

S1: سبر١

C1: مقطع ١

لوحة ٧: موقع السبر الأثري ومنطقة التنظيف المقطعي

١. تقسيم الوحدات الاثرية على مستوى السبر

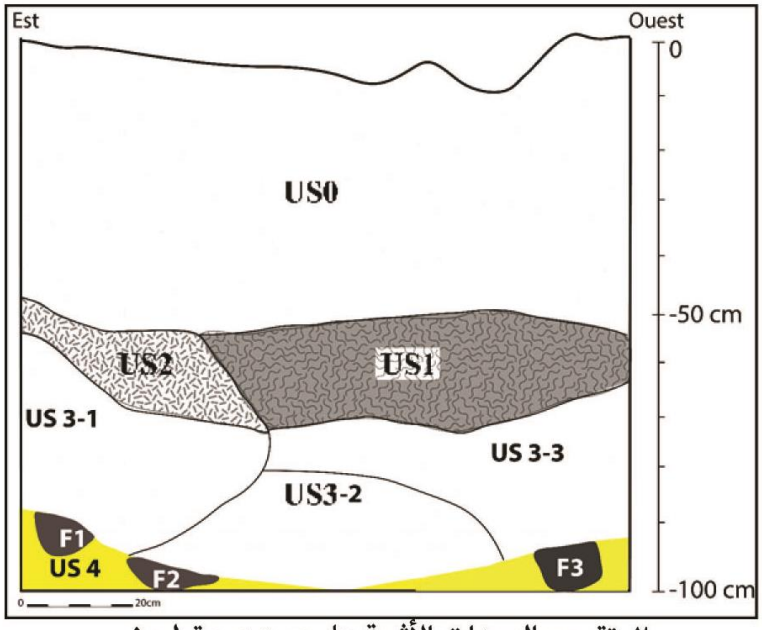

٢. تقسيم الوحدات الأثرية على مستوى مقطع ١

لوحة عدد ٨: الوحدات الأثرية بموقع رمادية العالية (المهدية)

نلاحظ أن الغطاء الحيواني ينتمي إلى المناخ المداري أو شبه المداري. هذه الحيوانات تحتاج في نظامها الغذائي إلى مناطق مفتوحة (سباسب) والى وفرة في الأعشاب و المياه وهو أمر لا يوفره المناخ المتوسطي شبه الجاف حاليا بمنطقة "الساحل" التونسي. وهو ما يجرنا إلى القول بأن منطقة العالية، على الأقل، عرفت مناخا مداريا أو شبه مداري أثناء أحد فترات الاستيطان البشري في فترة ما قبل

التاريخ. كما يبدو أن السبخة الحالية التي انقطعت عنها اليوم مياه الأودية بسبب الجفاف، الا في حالات الفيضان، كانت أقرب إلى بحيرة امتدادها يتجاوز بكثير المساحة الحالية للسبخة وهو ما تؤكده بعض الدراسات الجيومرفولوجية[١٣] و امتداد السبخة اثناء فترات الفيضان[١٤].

من ناحية أخرى يؤشر وجود الماعز المدجن في أحدث الوحدات الاثرية (US ٠١) عن تحول جزئي و تدريجي في نمط العيش من اقتصاد يعتمد الصيد و الالتقاط نحو اقتصاد منتج (بداية عصر النيوليتيك). بالمقابل يبقى السؤال مطروحا حول دخول هذا النمط الإنتاجي الجديد وتعايشه مع نمط العيش القديم الذي مازال غالبا.[١٥]

كما يطرح هذا التوزع للبقايا العظمية الحيوانية تساؤلا حول أصول الماعز المدجن: هل دجن انطلاقا من نوع أو أنواع محلية (نجد بقايا بعضها في الوحدات الاثرية ٢ و ٣ و ٤) أم تم استقدام ماعز مدجن من مناطق أخرى نحو منطقة الساحل التونسي؟

٣,٢ بقايا الحيوانات اللافقرية: أصداف الرخويات

يمكن تبويب الأصداف المستخرجة من التدخل الأثري بالعالية إلى ٧ أصناف:

النوع	الوسط الطبيعي	العدد	النسبة
Leucochroa candissima	بري	٣٠٣	٥٧,٧
Helix melanostoma	بري	١١	٢
Cerastoderma glaucum (Cardium)	بحري	١٧٠	٣٢,٣
Hexaplex trunculus (Murex)	بحري	١٦	٣
Columbella rustica	بحري	١٦	٣
Glycymeris	بحري	٧	٠,٣٨
Cerithium vulgatum	بحري	٢	٠,٣
المجموع		٥٢٥	

جدول ٥: **أنواع و أعداد الأصداف المستخرجة من السبر الأثري**

(13) Brahim (F.), 2015, *Evolution de la paléolagune-sebkha d'Ennjila et de ses environs (Sahel tunisien-Tunisie orientale)*, In Méditerranée, N°125, p. 51-62.

(١٤) الشكل القمعي للسبخة يدل على ان امتدادها الحالي لا يعد أن يكون سوى قاع البحيرة القديمة

(١٥) دراسة البقايا الحيوانية أظهرت أغلبية مطلقة لبقايا الحيوانات البرية

١. سلامية ثانية لتيتل افريقي

٢. ضرس سفلي لتيتل افريقي

٣. جزء من عظم المشط لبقر بري

لوحة ٩: بقايا حيوانات فقرية مستخرجة من السبر

يعكس الجدول تنوع الوسط الطبيعي الدي تم فيه التقاط الرخويات. عموما تحتاج الرخويات البرية لأرض رطبة، مناخ دافئ وتربة كلسية تسمح ببناء القوقعة[١٦].

(16) Aouadi-Abedejaouad N. et al., 2008, *Rammadiya El Oghrab*, in actes du 6 è colloque inter. Sur l'histoire des steppes tunisiennes. p. 18.

بالنسبة للقوقعيات البحرية (لوحة رقم ١٠) فهي تحتاج عموما الى مساحات مائية غير عميقة وتربة رملية تستعملها للتوطن أو اثناء فترة البيض[١٧].

كما تطرح أعداد القواقع الملتقطة إشكاليات بخصوص أهمية الحلزون البري مقابل الحلزون المائي في منطقة موجودة بين بحيرة والبحر. هل هو اختيار واعي لبعض الأصناف دون غيرها؟ أم أن السبر المنجز في مساحة محدودة نسبيا لا يعكس حقيقة استهلاك هذه الرخويات؟ أم أن سهولة التقاط الحلزون البري هي المحدد الرئيسي لتفاوت هذه النسب؟

من ناحية أخرى لو أخذنا بعين الاعتبار فترات انتشار أهم صنفين من الرخويات الملتقطة بالمنطقة أي الكوندیسیما البري[١٨] (ربيع) و الكرديوم[١٩] البحري (صيف) إضافة لقلة سمك الطبقات الاثرية بالرمادية، يمكننا أن يحيلنا الى الطابع الفصلي للاستقرار البشري بهذه المنطقة بحثا عن الثدييات المدارية الكبيرة و استغلال الموارد البحرية (رخويات، أسماك؟).

٤,٢ بقايا بيض النعام:

الدراسة الأولية لبقايا قشور بيض النعام أظهرت انتمائها الى فصيلتين لهذا الطائر هما:

***Camelus* Linné *Struthio*-**: هذا الصنف هو الأكثر انتشارا ويتميز باللون الأحمر للمناطقغير المغطات بالريش.

***Struthio molybdophanes* Reichenov**:-هذا الصنف يتميز باللون الرمادي المائل الى الزرقةعلى مستوى الرأس و القدمين.

(17) Ben Moussa, in press, *Les semi-nomdes pré-néolithiques et néolithiques du littoral sud de Sfax*, colloque « d'une Syrte à l'autre : mobilité des hommes, des biens et des idées à travers l'Histoire, Sfax 17-19 novembre 2016.

(18) Roubet C. et Hachi S., 2008, *Leucochroa Candissima Draparnaud* , In Encyclopédie berbère, Volume 28-29, Edisud, Aix-en-Provence, p. 4366-4374.

(19) Mannino M.-A. and Mazzanti C. 2014, *Studi ed osservazioni preliminary sulla malacofauna dal sito capsiano costiero SHM-1 (Tunisia central)* , In Le Capsien de Hergla (Tunisie): culture, environnement et économie, Mulazzani S. (dir.), p.339-361.

١. Hexaplex trunculus

٢. Cerastoderma glaucum

٤. Glycymeris

٣. Cerithium vulgatum

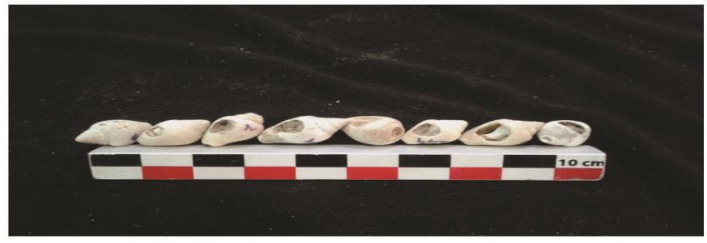

٥. Columbella rustica

لوحة ١٠: أهم اصداف الرخويات المستخرجة من السبر الأثري

٣. النتائج الأولية:

من خلال ما تقدم يمكننا التأكيد:

- زمنيا واعتمادا على دراستنا التصنيفية للصناعات الحجرية، وفي انتظار وصول نتائج التزمين المعتمدة على الكاربون ١٤، يمكن تحديد فترة تعمير موقع رمادية العالية بين منتصف الألفية الثامنة وأواخر الألفية السادسة قبل الميلاد أي مع نهاية عصر الابيباليوليتيك وبداية عصر النيوليتيك.

- رغم البعد عن مركز الحضارة القبصية (قفصة-تبسة) فإن التأثيرات التقنية بقيت قوية على مستوى الصناعات الحجرية سواء فيما يتعلق بأصناف الأدوات المستعملة، مصادر الحجارة الصوانية و التقنيات الحرفية...

- رغم مؤشرات بداية التدجين (الماعز) فإن نمط العيش الغالب بقي معتمدا على الترحل و الإنتجاع دون الاستقرار وهو ما يعكسه سمك الطبقة الأثرية واستهلاك الرخويات الفصلية (ربيع- صيف)

- الوسط الطبيعي و المعطيات المناخية زمن فترة تعمير موقع رمادية العالية مختلفة عما هي عليه اليوم. حيث يبدو أن المناخ كان وقتها أقرب إلى المناخ المداري أو شبه المداري وهو ما تعكسه نوعية الحيوانات البرية المستهلكة وأصداف الرخويات الموجودة قرب السبخة الحالية (البحيرة القديمة)

خاتمة:

إن هذه الدراسة الأولية للتعمير البشري و أنماط العيش في فترة ما قبل التاريخ بمنطقة العالية بالساحل التونسي تؤكد على ضرورة الإعتناء أكثر بفترات ماقبل التاريخ في هذه الربوع خاصة في علاقة بطرق استغلال المواد الأولية سواء كانت حجرية أو عضوية وغايات الحرفي من خلال السلسلة الصناعية المعتمدة (متجهة نحو إنتاج شفيرات وشفرات لصناعة حراب مركبة : poonspear/har) وخاصة في علاقة بأنماط العيش لسكان هذه المناطق المعزولة بين البحر و البحيرات. وعلى ما يبدو فإن هذه العزلة كانت مصدرا للتجديد في مجال نمط العيش والتي ستأثر لمدة طويلة على تاريخ المنطقة (صيد، التقاط، حلزونيات برية و بحرية...).

المراجع الاجنبية:

- Aouadi-Abedejaouad N. and al., 2008, *Rammadiya El Oghrab*, in actes du 6 è colloque inter. Sur l'histoire des steppes tunisiennes. p. 18.

Bahri F, 2004, De certaines techniques de construction d'époque fatimide à Qsar Al-'Alia, Africa XX, 2004, Tunis, p. 37

- Ben Moussa S., 2008, La Néolithisation de la Tunisie : approche typo-technologique comparée de quatre séries lithiques tunisiennes, Thèse non publiée, soutenue à l'Université de Provence Aix-Marseille I, 450 p.

- Ben Moussa S., in press, Les semi-nomdes pré-néolithiques et néolithiques du littoral sud de Sfax, colloque « d'une Syrte à l'autre : mobilité des hommes, des biens et des idées à travers l'Histoire, Sfax 17-19 novembre 2016.

- Brahim F., 2005, Le Sahel central et méridional (Tunisie orientale) géomorphologie et dynamique récente en milieu naturel, Faculté des lettres et des sciences humaines de Sousse, 302 p.

- Camps (G.), Gragueb (A.), Harbi-Riahi (M.), M'timet (A.) et Zoughlami (J.): 1995, Atlas préhistorique de la Tunisie, Feuille n° 12, El Djem, École française de Rome, Rome, 26 p.

- Mannino M.-A. and Mazzanti C., 2014, Studi ed osservazioni preliminary sulla malacofauna dal sito capsiano costiero SHM-1 (Tunisia central), In Le Capsien de Hergla (Tunisie): culture, environnement et économie, Mulazzani S. (dir.), p.339-361.

- Roubet C. et Hachi S., 2008, Leucochroa Candissima Draparnaud , In Encyclopédie berbère, Volume 28-29, Edisud, Aix-en-Provence, p. 4366-4374.

- Camps-Fabrer H., 1966, Matière et art mobilier dans la Préhistoire nord-africaine et saharienne, Mémoire du CRAPE, Paris.

- Rahmani N. and Lubell D., 2005, « Dessine-moi une autruche » la gravure de Kef Zoura D et la représentation de l'autruche au Maghreb, In Sahara, N° 16, p. 39-54.

- Belhouchet L. 2008, Les gravures sur coquilles d'œufs d'autruche en Afrique du Nord : interprétation des décors géométriques, In Sahara, N° 19, p.77

- Dughi R. et Sirugue F., 19٧٥, Les coquilles d'œuf d'autruche de Medjez II, In Camps-Fabrer H., un site capsien de faciès tébessien : Medjez II, p. 393-394

- Tixier (J.), 1963, la typologie de l'Epipaléolithique de l'Afrique du Nord, Arts et Métiers graphiques, paris, 212 p.

Reconstruction and lifestyles in the prehistoric period in Al-Aliya(Salqata, Mahdia, Eastern Tunisia)

Dr.Sofian bin salem bin mousa•

Abstract :

The present paper is the outcome of an archaeological investigation (field survey and archaeological survey) in the region of Al-Alia in the governorate of Mahdia, in the eastern coast of Tunisia. The typological flint stone study shows that the settlement began between the middle of the eight millenary and the end of the sixth millenary B.C. Despite the distance between this region of Al-Alia and the Centre of the Capsian civilisation (Gafsa-Tebessa), the technical influences of this civilisation were still strong at the level of flint stone industry whether concerning the types of tools, the sources of the flint stones, or handy craft techniques. In spite of the existence of some signs of the beginning of animal domestication (goats), the dominant way of life was still based of nomadism without sedentarily, a fact that is show in the thickness of the archaeological layers, and the consumption of seasonal molluscs (spring-summer). The environment and the climate of that period during the occupation of the Al-Alia rammadiya are different from what they are today. The climate seems to be closer to the tropical or subtropical, which is reflected in the bones of wild animal species consumed and the shell fish found in the Sebkha (The old lake).

Keywords:

Capsian, Neolithic, flint industry, malacology, archeozoology.

•Associate professor sofienemoussa@yahoo.fr